﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ١١٣﴾ [طه: 113]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد ذِكرِ العقاب والجزاء يوم القيامة بيَّن نزولَ القرآن الَّذي فيه حبلُ النَّجاة

بعد أنْ بشَّر النَّظمُ الجليل ما ينتظر المؤمنين يوم القيامة، من قبول أعمالهم وانتفاء الظُّلم عنهم، أتبعه بذكر تنزيل القرآن الكريم المتضمِّن الوعيد وبيان الحكمة من إنزالهِ، وهو تحقيق التَّقوى الَّتي ينتفع بها العبادُ في ذلك اليوم، ومن المناسبة أنَّه "لمّا اشتملت هذه الآيةُ على الذَّروة من حسن المعاني، فبشَّرت، ويسَّرت، وأنذرت، وحذَّرت، وبيَّنت الخفايا، وأظهرت الخبايا، مع ما لها من جلالة السَّبك وبراعة النَّظم، كان كأنَّه قيل تنبيهًا على جلالتها: أنزلناها على هذا المنوال العزيز المثال"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَصَرَّفۡنَا﴾: (صرف) أصلٌ يَدُلُّ على رَجْعِ الشَّيْءِ، ومنه صَرْفُ الكَلامِ: تَزْيينُهُ والزِّيادَةُ فيهِ، وإنَّما سُمّيَ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ إذا زُيِّنَ؛ صَرَفَ الأَسْماعَ إلَى اسْتِماعِهِ، ويُقالُ لِحَدَثِ الدَّهْرِ: صَرْفٌ، والجَمعُ: صُرُوفٌ، وسُمّي بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَتَصَرَّفُ بِالنّاسِ، أيْ: يُقَلِّبُهُم، ويُرَدِّدُهُم[2]، وتَصْريفُ الرِّياح هو صرفُها من حال إلى حال، قال تعالى: ﴿وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ﴾ [الأحقاف: 27]، وقال: ﴿وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ﴾[3]، أي: ذكرنا الوعيد مكرِّرين له في أساليب مختلفة، وأفانين متنوِّعة[4].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 350.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صرف).
(3) الرّاغب، المفردات: (صرف).
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 350.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إنــزالُ الـقـرآن لـهـداية النّـاس وتحقيق التَّقوى والتَّذكُّر فيهم

يخبر النَّظمُ الكريم أنَّ الله تعالى أنزلَ القرآن الكريم بعظمته وجلاله، وأنَّه وصفه بكونه عربيًّا مشتملًا على ضروبٍ من الوعيد، مبيِّنًا الغاية من ذلك، رجاء أن يتَّقي النّاس الكفر والمعاصي، أو رجاء أن يُحدِثَ القرآن في نفوسهم اتِّعاظًا واعتبارًا يصرفُهم عن التَّردّي فيما تردَّتْ فيه الأمم السّابقة مِن آثام وموبقات أدَّتْ إلى هلاكهم[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الواو في صدر الآية:

تـفـخـيـمُ شـأنِ القرآنِ كلِّه بعد التَّنويه بقصصِهِ

عطفَ النَّظمُ الجليل الجملةَ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، على الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ﴾، وفائدة هذا العطف التَّنويهُ بشأن القرآن، فقد نوَّه بالقرآن جزئيًّا؛ وذلك بالتَّنويه بقصصه، ثمَّ عطف عليه التَّنويه به كليًّا[2].

دلالةُ الكافِ في ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾:

فـخـامـةُ نـزولِ بـعـض الـقـرآنِ كـفـخـامـة نـزول كلِّهِ

عبَّر النَّظمُ الجليل بالكاف الدّالَّةِ على التَّشبيه، في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾؛ للدَّلالة على التَّمثيل بين إنزال الآيات السّابقة المشتملةِ على الآداب والأحكام والقصص، وبين ما أنزل الله تعالى على النَّبيِّ ﷺ، أي: "أنزلنا عليك - يا محمد ﷺ - القرآنَ كلَّه، فما نزل منه متأخِّرًا، يشبه في هدايته وإعجازه ما نزل منه متقدِّمًا"[3].

بيانُ المشارِ إليه بلفظ ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾:

إنــزالُ الـقـرآن مثلُ إنزالِ الآيات السّابقة

عبَّر النَّظمُ الجليل باسم الإشارةِ، في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ

(1) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 156.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 312 - 313.
(3) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 156.

﴿أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾؛ إشارةً إلى "إنزال ما سبق من الآيات المتضمِّنة للوعيد المنبئةِ عمّا سيقع من أحوالِ القيامةِ وأهوالِها، أي: مثلَ ذلك الإنزالِ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾"(1).

سرُّ إيثارِ التَّعبير بالفعل ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾:

إنـــزالُ الـقـرآنِ هـدايـةٌ دائـمـةٌ، ومـعـامـلـة من الله قائمة

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بالفعل الماضي في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّق الإنزالِ، وهو الأنسبُ في سياق تفخيم شأنِ القرآن، "وكونه مركوزًا في العقول حاضرًا في الأذهان قُرْآنًا عَرَبيًّا ليفهمه العربُ، ويقفوا على ما فيه من النظم المعجز الدّال على كونه خارجًا عن طوق الآدميين نازلًا من رب العالمين"(2).

عودُ الضَّمير المنصوب في ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾:

حضرَ في الأذهان فأغنى عن ذكره في السّياقِ

عبَّر النَّظمُ الجليل عن القرآن الكريم بالضَّميرِ من غيرِ ذكرٍ سابقٍ له، في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾، وذلك للإيذانِ "بنباهةِ شأنِه وكونِه مركوزًا في العقول، حاضرًا في الأذهان"(3).

نكتةُ التَّعبيرِ بلفظ ﴿قُرْءَانًا﴾:

الـــقـــرآنُ المـتـنـزَّلُ جـامـعٌ لـكـلِّ المـعـاني والـهـدايـات الرّاشدة

عبَّر النَّظمُ الجليل عن الذِّكر الحكيم المنزَّل من جنابه الجليل بلفظ القرآن، في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾؛ للدَّلالة على أنَّه جامعٌ لجميع المعاني الحكيمة(4)، ثمَّ إنَّ المرادَ به القرآنُ، كمعجزةٍ في ذاته، سواء أُنزِلَ دفعةً واحدة أم منجَّمًا، فكان التَّعبيرُ بـ ﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾، وعندما كان ينزل لبيان الشَّرع ولحفظ آية آية، كان التَّعبيرُ بـ ﴿نَزَّلْنَا﴾ [البقرة: 23]، وهنا بيانُ أنَّهُ معجزةٌ، وأنَّهُ جاء مبشِّرًا ومنذرًا ينتفع به المتَّقون، ويُذكَّر به غيرهم ليكون لهم نذيرًا(5).

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 44.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 576.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 44.
(4) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 350.
(5) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 9/ 4793.

دلالةُ وصفِ القرآنِ بلفظ ﴿عَرَبِيًّا﴾:

إقامةُ الحجَّةِ على المخاطَبين بإنزال الكتابِ بلغتهم

وصف النَّظمُ الجليل القرآن الكريمَ بكونه عربيًّا، في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾؛ للدَّلالة على أنَّ البيان فيه كائنٌ لكلِّ مَن له ذوقٌ ومعرفة باللِّسان العربيِّ وأساليب العربيَّة[1]، والمراد من ذلك الوصفِ بيانُ أنَّه جاء بلسانهم، فلا يعجزهم فهمُه، وأنَّه بيَّن لأفهامهم، وذلك لإقامة الحجَّة عليهم، ليهلك من هلك عن بيِّنة.

سرُّ إيثارِ الفعل ﴿وَصَرَّفْنَا﴾ في السّياق:

كثرةُ الوعيد وتنويعُه إقامةٌ للحجَّة وإيقاظٌ من الغفلة

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل (صرَّفَ) مضعَّفَ العينِ، في قوله تعالى: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾؛ للدَّلالة على كثرة التَّغييرِ والتَّبديل والتَّنويع في أساليب الوعيد، فكرَّر النَّظمُ الجليل الوعيدَ بأساليب مختلفة[2]، والغرض من ذلك بيانُ أنَّ الحجَّة قائمة، والعذر بالجهل منتفٍ.

علَّةُ فصل جملة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ عمّا قبلها:

علَّةُ التَّصريفِ حثُّ النّاس على التَّقوى

فصل النَّظمُ الكريمُ الجملةَ في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾؛ لأنَّها مستأنفةٌ استئنافًا بيانيًّا تعليليًّا، فكأنَّه قيل ما الغرضُ من هذا التَّصريف وما علَّتُه؟ فقيل: الغرضُ من ذلك إحداثُ التَّقوى في النّاس.

دلالةُ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ في السّياق المحكمِ:

الغايةُ من الوعيدِ رجاءُ حصول الإيمان والتَّقوى في النّاس

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الرَّجاء (لعلَّ)، في قوله تعالى: ﴿وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾؛ لبيان الثَّمرةِ المرجوَّة من الوعيد، والغاية السّامية منه، فبعد ذكر الوعيد؛ ذكرَ المرجوَّ منه؛ لبيان أنَّ النّاظر لهم بعد الوعيد، يكون في رجاء لأن يتَّقوا[3].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 350.
(2) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 350.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 350.

نكتةُ التَّعبيرِ بالمضارع ﴿يَتَّقُونَ﴾:

دوامُ التَّقوى واستقرارها مقصدٌ من مقاصدِ القرآنِ الكريم

آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾؛ للدَّلالة على أنَّ المرادَ من إنزال القرآن الكريم، وتصريف الوعيد، فيه إيجادُ صفة التَّقوى في المخاطَبين، على سبيل التَّجدُّد والاستمرار، أي: "رجاء أن يتَّقوا، ويكونوا به في عداد من يجدِّد التَّقوى كلَّ حين، بأن تكون له وصفًا مستمرًّا"[1].

دلالةُ عطفِ جملة بالحرف ﴿أَوْ﴾ دون الواو:

حِكَمُ إنزال القرآنِ عديدةٌ متنوِّعة

عطف النَّظمُ الكريم عطفَ رجاءٍ لإحداث الذِّكر على التَّقوى[2]، في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾، وقد آثر أن يكونَ العطفُ بـ ﴿أَوْ﴾ دون الواو؛ لأنَّه لم يرد اجتماعُ الأمرين في المدعوّين، بل يكفي حدوث أحدهما، وذلك لأنَّ الانتفاعَ يتحقَّقُ بأحدهما، فالمرادُ أن يكونوا في عداد المتَّقين، أو أن يكونوا أقلَّ من المتَّقين بأن يجدِّد لهم التَّصريفَ تذكيرًا بطرقِ الخير، فيكون سببًا للخوف الحاملِ على التَّقوى[3]، وقد أفاد هذا العطفُ ذِكرًا لحكمة أخرى من الحِكَمِ الَّتي من أجلها أنزل الله القرآنَ الكريم[4].

سرُّ العدولِ عن (يُذَكِّرُهم) إلى ﴿يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾:

بيانُ أنَّ ذِكرهم إنَّما حصلَ بالقرآن لا قَبْله

آثر النَّظمُ الكريمُ التَّعبيرَ بإحداث التَّذكير دون التَّذكير مباشرة، في قوله تعالى: ﴿أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾؛ وذلك للإيماء إلى "أنَّ الذِّكر ليس من شأنهم قبل نزول القرآن، فالقرآنُ أوجد فيهم ذكرًا لم يكن من قبلُ"[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 350.
(2) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 8/ 428.
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 351.
(4) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 9/ 156.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 16/ 315.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التَّصريف والتعدُّد:

التَّصريفُ من (صَرَفَ) أصلٌ يَدُلُّ على رَجْعِ الشَّيْءِ[1]، وتَصْريفُ الرّياح هو صرفُها من حال إلى حال[2]، أي: ذكرنا الوعيد مكرِّرين إياه في أساليب مختلفة وأفانين متنوِّعة[3]، أمّا التَّعَدُّدُ؛ فهو الكَثْرَةُ، وأصل العَدِّ – وهو الإحصاءُ – مِن: عَدَّ الشيْءَ يَعُدُّه عَدًّا وتَعدادًا[4]، فالتَّعدُّد يدلُّ على العدِّ والإحصاء بلا دلالة على التَّنويع، أمّا التَّصريفُ؛ فيدلُّ على التَّكثير مع التَّنويع والتَّغيير، فالكثرة في التَّصريف من كثرة الأساليب، أمّا التَّعدُّد؛ فالكثرةُ فيه من تكرار الفرد.

التَّصريفُ كثرةٌ بتنويعٍ، والتَّعدُّد كثرةٌ بتكرارٍ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صرف).
(2) الرّاغب، المفردات: (صرف).
(3) البقاعيّ، نظم الدُّرَر: 12/ 350.
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (عدد).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والثلاثون،
سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 32 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-74-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 32 : المجلد الثاني والثلاثون، سورة طه من الآية 36 إلى الآية 131.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-74-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4565158 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»